﴿ الى الله المشتكى ﴾

عفى الديار ديار الحكم والحكم ... فقدُ الرجال رجال السيف والقلم
وغادر الارضَ ارضَ الدين مجدبةً ... قحطُ الكرام وموت الجود والكرم
حيث المشاعر مضروبٌ لها مثلا ... « بئر معطّلة دار بلا أَرِم »
حيث الشعائر امست وهي منتكسٌ ... اعلامها كانتكاس الظلّ للقدم
حيث المدارس طراً وهي دارسة ... اضحت مرابض للانعام والغنم
الله يعلم انّ الدين اوهنه ... تقلّباً دوله الاوغاد والقزم
« فلا رعى الله قوماً لا عهود لهم ... ولا ديانة خوّانين للذمم »
« من كل متّبع الاهواء منهمك ... في الكفر بالشر والاشراك معتصم »
« لا مدّ بحر جرت فيه سفائنهم ... لا بالشرائع بل بالنار والضرم »
« جاءوا جياعاً لحوم الجيف قوتهم ... تمسي النسور لهم لحماً على وضم »
« يذلّلون سراة عزّ مشربهم ... ويولغون كلاباً في حياضهم »
سبحانه تلك ايام يداولها ... في الناس وفق اصول العدل والحكم
ولا يغيّر مابالقوم ربهم ... الا بتغييرهم ما في نفوسهم
فان هم رفعوا للعلم رايته ... يرفعهم لسماء العز في الامم
وان هم خفضوه فهو يخفضهم ... في هوّة الذلّ والانكاد والعدم
بالعلم قد جاءنا الاسلام منتصراً ... فاخرج العرب من اشراك شركهم
والروم في لجّة غاصت سفينتها ... والفرس من فتنة صماء في ضرم
وقد محا جهلهم سيماء نوعهم ... وكاد يفصل عنهم فصل جنسهم
حتى أنار الورى فانجاب ظلمته ... شروق دين الهدى في الاعصر الدهم

دين غدا ناسخ الاديان قاطبةً وآية الشمس تمحو اية الظلم
مؤلفاً بين اشتات القلوب كما يؤلف الناظم النحرير فى الكلم
اصوله كاصول الشمّ راسخة فروعه علت الافلاك فى الشمم
اين الذين اشاعوا فى البلاد علو من النقل والعقل والاحكام والحكم
احيوا علوم ارسطاليس دارسة كما ابن مريم احيى دارس الرمم
وهذّبوا من خرافات دفاترها ودوّنوا درسها فى سائر الامم
فى البيض والصفر والسودان نورهم تراه يلمع لمع البرق فى العتم
امسى الرياضىّ روضاً من رياضتهم واينعت نخله من جود فضلهم
واحرزوا قصبات السبق من حرف ومن فنون صناعات ومن حكم
كم فى السياحة وايات لهم نشرت وفى الملاحة آيات لغرسهم
وفى العمارة آثار لهم رفعت تلوح مثل النجوم الزهر فى الظلم
هذا الضياء الذى باهى الزمان به حضارة ونراه عكس نورهم
ممن تنورت الآراء مذهبة بالعلم مشبهة ناراً على علم؟
ممن غدت عنده الاقوام رائجة اسواقها فى فنون البيع والسلم؟
نائى الشمال والدهر فى شغل والغرب فى نغم والشرق فى صمم
هيهات هيهات ان ذل ومتربة من الجهالة وانحلت عرى الهمم
حتى غدت شوكة الاسلام شاكية من بعد سلطتها فى العرب والعجم
دين نحا بحسير العلم بالسفه فليرجق منه سوى ساق بلا قدم
قوم لقد كان رأس المال علمهم ويل لهم اذ اضاعوا راس مالهم
فوزعت لرئيس العلم ثروتهم ووزعت ملكهم اعداء دينهم
من زادهم شرفاً ان زاد علمهم الا زيادة نكس فوق نقصهم

لاخير فى عِدة ان قل عُدّتها ... لاخير فى سمن إن كان من ورم
امسى الشراب سراباً من جرائمهم ... اذ اصبح الماء غوراً من عيونهم
واصبحت دارهم قفراً بلا سُرُج ... والشمل من بعد جمع غير منتظم
تشعّبوا شيعاً حتى رعى هملا ... كل بمرعى بلا راع ولا لَزِم (١)
قد جزّؤا بالهوى ذا الدين تجزئة ... والدين جوهر فرد غير منقسم
كل له غَرَضٌ يرى به غَرَضا ... ويجعل الدين منه عرضة التهم
كل له مذهب يبنى به ذهبا ... بئس الحطام الذى يفضى الى الحطم
فشا النزاع فامسى الأمن منتزعا ... كذا الامانة من حلّ ومن حرم
اليس من حاكم ترضى حكومته ... فى الحل والعقد عند الخطب أو حكم
بلى فان رسول الله اسوتنا ... خير المحامين محيي ميت النسم (٢)
اليك نشكو رسول الله ذلتنا ... والذلّ من بعد عزّ اصعب النقم
ان كنت ترضى بما امسى المحيط بنا ... احاطة الدجن فى داج من الظلم
فنحن راضون أيضاً بالذى كتب ال ... خلاّق من سابق الآزال فى القسم
ان كان حبل الرجا فى الدهر منفصما ... فحبلنا منك حبل غير منفصم
وانت احييت اسلافا لنا كرما ... فلا تضع خلفا فى آخر الامم
يارب انزل علينا رحمةً ابداً ... كما رحمت نبيّاً طاهر الشيم
وأصلح الله اخلافاً لأمته ... حتى يباهى غداً اسلافهم بهم
صلى الاله على طه وعترته ... ما حنّ قلب الى جيران ذى سلم

بوصيري (ش ١٠ ج)

(١) اللرم ككتف الفيصل وهو القاضى والحاكم مطلقاً لأنه يفصل بين الامور كالسيف (٢) المراد احياء الارواح بالمعرفة والتهذيب لان النسيم (بالتحريك) لا يطلق الا على الحى وهو فى الاصل نفس الروح ويدل عليه «وانت احييت» الآتى